

ORIGINAL ARTICLE

منهج الذهبي في «الطب النبوي»

Zahabi's Style in the Book "al Teb al Nabavy"

Mahmood Heidari¹

1-Yasouj University, Humanities' sciences faculty, Persian language and literature,
Yasouj, Iran

Correspondence: Mahmood Heidari; Yasouj University, Humanities' sciences faculty,
Persian language and literature, Yasouj, Iran;
mahmoodheidari@yahoo.com

محمود حیدری

جامعة یاسوج، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة الفارسية و

آدابها، یاسوج، ایران

الکتب المنقول: محمود حیدری، جامعة یاسوج، كلية العلوم

الإنسانية، قسم اللغة الفارسية و آدابها، یاسوج، ایران

mahmoodheidari@yahoo.com

Abstract

From the antiquity, Muslim scholars have always been interested in working on the *Hadiths* (talks) of the Prophet Mohammad (PBUH). Since then, the hadiths, in all fields, especially in fields of health and medicine, have attracted the attention of many scholars, leading to the publication of a number of books on Hadiths as well as the collection of Hadiths, including those related to health. The books, whether having the title "Prophetic medicine" or not, contain issues such as Phlebotomy. This study has analyzed one of these books entitled *Al-teb Al-nabavy* of Shamsuddin Zahabi in terms of its composition, size and style. The present study, following the descriptive-analytic method, has shown that the writer of this book has been quite aware of the preceding books written in this field and has attempted to use and include the medical knowledge of other nations in his book. The writer has utilized verses and poems as well as narratives and stories. However, the dominant style of the writer is employing the narrative style and story-telling.

Key words: *Al-teb Al-nabavy*, Shamsuddin Zahabi, style

Received: 26 Feb 2014; Accepted: 12 Apr 2014; Online published: 1 May 2014

Research on History of Medicine/ 2014 May; 3(2): 101-108



المُلخَص

اهتم علماء المسلمين بالحديث النبوي منذ أقدم عصور ومازالت ولا تزال أحاديثه الشريفة موضع اهتمامهم في كافة المجالات ومنها ما يتعلق بالصحة والطبابة وفي هذا الصدد ألفوا كتباً وجمعوا أحاديثاً ترتبط بالطب. من هذه الكتب المؤلفة ما تحمل عنوان الطب النبوي أو موسوعة الطب النبوي خاصة، غير ما جمعوا وكتبوا في الموضوعات الخاصة مثل الحجامه وغيرها. تريد هذه الورقة البحثية أن تسلط الضوء على منهج كتاب الطب النبوي لشمس الدين أبي عبدالله الذهبي (ت. ۷۴۸) من حيث التصنيف والتبويب أن تدرس أسلوبه.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وتبين أن المؤلف واسع الاطلاع على المؤلفات قبله وعلى الآراء والسنن الواردة في مجال الطب من سائر الأمم وقد تعمق في بعض الموضوعات واستدل بعض الأحاديث بما لديه من المعلومات. ومن حيث الأساليب المتبعة في الكتاب نرى استخدامه الآيات والأشعار والحكايات وقد غلب على كتابته أسلوب القص كما تقتضى الأحوال في بيان الحكايات والروايات.

الكلمات المفتاحية: الطب النبوي، أبو عبدالله الذهبي، المنهج والأسلوب.

المقدمة

إن التراث هو الهوية الثقافية لكل أمة، والابتعاد عنه قد تؤدي إلى الاضمحلال والانحلال الحضاري وعلى المسلمين ذوي الحضارة الراقية في كافة المجالات العلمية التي خضع العالم لها مدة طويلة وأقروا بها أن يراجعوا إلى تراثهم العلمي والأدبي لنلا يشعروا بالضعف والانتكاس أمام الحضارة الغربية المعاصرة وكذلك أن لا ينسوا مكانتهم المرموقة في الماضي حتى لا يكونوا عرضة للاضمحلال والتفكك.

إن العناية بتراث المسلمين العلمي وأعلام الفكر الإسلامي من أهم الدراسات التي تفتح أمامنا الطريق للوصول إلى الكثير من المعلومات التاريخية والعلمية عن حضارة الأمة لأجل إحيائها وعلينا أن لا نبقى في الماضي بل نجعله جسراً للوثوب إلى التقدم والرقى في الحضارة الجديدة «فالأمم المتحضرة مهما ارتقت من سلم الحضارة لا تنسى علمائها ومفكرها، ففي تاريخنا العربي الإسلامي شخصيات علمية مهمة أسهمت في تقدم العرب والمسلمين على غيرهم من الأمم والشعوب ولا بد من الكشف عن هذه المادة ودورها في المشاركة ببناء الحضارة ورفدها للفكر العربي إزاء ازدهارها العلوم والمعارف الأخرى آنذاك»¹

وقد أولى المسلمون في تراثهم العلمي والثقافي الاهتمام لعلم الطب الذي هو من أقدم العلوم في تاريخ الحضارة وقاموا بإسهامات هامة في هذا المجال مستعينين بسنة الرسول (ص) واستخرجوا الأحاديث وجمعوها في مجموعات مستقلة باسم الطب النبوي وما شاكله أو خصوا فصولاً في كتب الأحاديث باسم كتاب المرضى أو كتاب الطب وغيرهما². هناك كتب قيمة في مجال الطب النبوي (راجع مقدمة كتاب موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم الإصفهاني) والقسم الوفير منها، قد فنيت في توالي العصور أو لاتزال مخطوطة في المكتبات ومن هذه الكتب الموجودة التي يمكن الإشارة إليها، كتاب للمؤرخ والمحدث أبي عبدالله الذهبي من علماء القرن السابع والثامن. يُعدُّ هذا الكتاب تراثاً من تراث الأمة الإسلامية الذي جمع بين العلم والدين وقد قمنا في هذه الدراسة بتبيين منهجيته. وقبل أن ندخل في صلب الموضوع أوردنا مباحث تمهيدية تتعلق بترجمة مؤلفنا هذا، راجين أن يفتح هذا الجهد المتواضع، الباب على مصراعيه للبحوث الجادة في هذا الموضوع.

1. منهج البحث

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي - التحليلي لبيّن أبرز الأساليب المتبعة في كتابنا هذا وفي هذا الصدد، يقوم بدراسة الأبواب في هذا الكتاب ثم يدرس منهج المؤلف في التدوين ومصادره في كتابته ماعدا الأحاديث وبيّن مدى تأثير الكاتب بالكتب المؤلفة في الطب النبوي وكذلك مدى تأثيره بأقوال العلماء السلف من اليونان والهند وأخيراً يلفت البحث النظر إلى أسلوب كتابة الذهبي واستخدامه الآيات والأشعار وأتباعه أسلوب القص

1- Jaseem, 2012: 1.

2- Isfahani, 2006: 116.



والسررد.

- 3-Al Zahabi ,1990 : 15.
4- Ibn Kaseer,1998: 18/500.
5- Al Sobki, 1964: 9/102.
6- Al Zahabi ,1990 : 15.
7- Al Sobki, 1964: 9/100.
8- Ibid, 9/ 103.

۲. الدراسات السابقة

فلما توجه الباحثون إلى هذا الكتاب وما رأينا من البحوث المتعلقة عنه إلا مقالاً لعبد الحكيم الأنيس (٢٠٠٨) عنوانه «كتاب الطب النبوي، ليس للذهبي» والذي يرى المؤلف أنه من الخطأ نسبة هذا الكتاب إلى الذهبي خلاف ما هو مشهور في العالم الإسلامي. (راجع المقالة في الموقع: <http://www.azahera.net>) ولكن نرى البحوث ذات الصلة بتحليل منهج التراث للكشف عن مكانة المؤلفين وجعل المؤلفات نصب أعين القراء للتعرف بها مثل ما فعل حسين كياني (٢٠١٣) في مقاله المنشور في مجلة دراسات في تاريخ الطب عنوانه «دراسة في منهج ابن النفيس في كتابه الشامل في الصناعة الطبية» وكذلك ما فعلت الاء نافع جاسم (٢٠١٢) في تحليل منهج أبي إسحاق الشيرازي في كتابه "طبقات الفقهاء" أو غيرها من البحوث والمقالات المنشورة في هذا المجال.

۳. الذهبي

۱-۳. مولده و نشأته

هو الحافظ المحدث المؤرخ العلامة المحقق محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله. تركماني الأصل ولد في دمشق سنة ٦٧٣ للهجرة وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة ورحل إلى القاهرة ومكة وطاف الكثير من البلدان ثم عاد إلى دمشق متفرغاً للعلم والتأليف حتى قاربت مؤلفاته المائة. كَفَّ بصره سنة ٧٤١ هـ،^٣ وتوفي في دمشق سنة ٧٤٨ هـ. و هكذا وصفه ابن كثير و أخبر عن مماته في تاريخه:

«وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام و شيخ المحدثين شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه.»^٤

۲-۳. نشأته العلمية وأثاره

إنّ الذهبي طاف كثير من البلدان الإسلامية وزار العلماء وطلب ما عندهم من العلوم والمعارف ومن جملة البلدان والعلماء الذين تتلمذ عندهم فيمكن الإشارة إلى عمر بن القّواس وأحمد بن هبة الله بن عساكر في دمشق وعبد الخالق بن علوان وغيره في بعلبك والأبرقوهي وشيخ الإسلام ابن دقيق في مصر و على بن أحمد الجرافي بالإسكندرية والتوزي بمكة وسنقر الزيني بحلب والعماد بن بدران بنابلس و «في شيوخه كثرة فلا نطيل بتعدادهم»^٥ يُعدّ الذهبي واحداً من علماء الإسلام المرموقين فألف العديد من الكتب القيمة في الفقه والتاريخ والأدب. وقيل عنه «إنّ مؤلفاته قاربت المئة معظمها في عدة أجزاء منها «تاريخ الإسلام الكبير» في ستة وثلاثين مجلداً و«العبر في خير من غير» في خمسة أجزاء و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» في ثلاثة مجلدات و«دول الإسلام» و«طبقات الحفاظ» و«طبقات القراء» و«الكبائر» و«الطب النبوي» وغيرها كثير وما لم يطبع بعد من مؤلفاته أضعافاً ما تمّ تحقيقه ونشره.»^٦ ومن هنا نرى أمامنا إماماً من أئمة العلوم الإسلامية يستحقّ كلّ أثر من أثاره بحوث مستقلة ودراسات أكاديمية جديدة بها.

على أيّ حال إنّ الذهبي واحد من الأعلام الذين عدّهم السبكي ركناً من أركان الحفاظ الأربعة في عصره قائلاً «اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ، بينهم عموم وخصوص: العزي والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهؤلاء في عصرهم.» ويسرد قوله بأنّه «لأنظير له وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً وذهب العصر معنى ولفظاً وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كلّ سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها.»^٧ وهو القائل عنه أيضاً «تعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه وضربت باسمه الأمثال وسار اسمه مسير الشمس إلا أنّه لا يتقلص إذا نزل المطر ولا يدير إذا أقبلت الليال.»^٨

وعندما سرد محقق كتاب الطب النبوي لأبي نعيم الإصفهاني قائمة من الكتب المؤلفة في الطب النبوي وعندما وصل إلى الذهبي وكتابه هذا، يقول «و حظي بشهرة قد استحقها»⁹.

٤. صلب الموضوع

٤-١. منهجه في التبويب

إنّ الذهبي قد رتب كتابه على ثلاثة فنون؛ الأول: في قواعد الطب؛ علمه وعمله، الثاني: في الأدوية والأغذية والثالث: في علاج الأمراض. وقسم الفن الأول إلى جزئين: الجزء الأول وهو العلمي والثاني وهو العملي. ثمّ قسم الجزء الأول من الفن الأول إلى أربعة أجزاء: ١. العلم بالأمور الطبيعية وأتى بالأمور الطبيعية السبعة وهي أولاً: أركان الطبيعة متمثلة في الهواء والنار والماء والأرض ثانياً: المزاج وأقسامه تسعة. ثالثاً: الأخلط الأربعة من الدم والبلغم والصفراء والسوداء رابعاً: الأعضاء الأصلية خامساً: الأرواح سادساً: القوى الثلاثة؛ الطبيعية والحيوانية والنفسانية سابعاً: الأفعال وهي الجذب والدفع. ٢. العلم بأحوال بدن الإنسان الثلاثة: الصحة والمرض وما بينهما. ٣. العلم بالأسباب والأسباب ستة: الهواء ثمّ ما يؤكل ويشرب فإن كان حاراً أثر في البدن حرارة وبالضد والثالث: الحركة والسكون البدنيان والرابع النفسانيان كما في القبض والفرح والخامس: النوم واليقظة والسادس: الاستفراغ والاحتباس. ٤. العلم بالعلامات وهي علامات تظهر في البدن مثل الحمرة والصفرة وغيرها.

أمّا الجزء الثاني – الجزء العملي- من الفن الأول فينقسم إلى حفظ الصحة ومداواة المرض.

الفن الثاني يشتمل على جملتين: الجملة الأولى في أحكام الأغذية والأدوية وتشتمل على بابين: الباب الأول في الأدوية المفردة والثاني في أحكامها والجملة الثانية في الأدوية المركبة وقوانين تركيبها.

وجاء في الفن الثالث بعلاج الأمراض مختصراً. من الإشكاليات الموجودة هنا أنّ الكاتب قد عنون كتابه بالطب النبوي ولكن جاء ببعض الموضوعات، خاصة في الأدوية والأغذية، وما ذكر حديثاً أو رواية عن النبي (ص). وكذلك في تقسيمه بثلاثة فنون قد يبدو أنّه لم يكن موفقاً لأنّ الفن الثالث وهو علاج الأمراض يحتوي على الجزء العملي من الطب الذي قد ورد في الفن الأول ولا يكون الفن الثالث في الحقيقة فناً قائماً بذاته إذ نرى مداواة المرض في الفن الأول مختصراً ثمّ فصل القول مرّة أخرى.

٤-٢. منهجه في التصنيف

٤-٢-١. تأثره بأقوال السلف

أول ظاهرة بلفت النظر في هذا الكتاب هو تأثر الكاتب بأقوال العلماء السلف من مختلف الأمم وفي هذا الصعيد نرى أقوال علماء العرب واليونان والفرس وغيرهم. أمّا بالنسبة إلى علماء العرب المسلمين نرى تأثر الذهبي بأبي نعيم الإصفهاني الذي ألف كتاباً في الطب النبوي في القرن الرابع ويعدّ كتابه هذا أول المؤلفات في مجال الطب النبوي وقد نقل منه في أثناء تأليفه في غير موضع منها روايته بأنّ النبي (ص) كان إذا شرب قطع ثلاثة أنفاس، يسمّى الله إذا بدأ ويحمده إذا ختم. والذهبي لا يكتفي بنقل هذه الرواية بل يضيف إليها ما يفسرها قائلاً: «أمّا تقسيمه الماء فإنّ فيه مصلحة عظيمة وذلك أنّ الحاجة قد تدعو إلى تناول الكثير من الماء لشدة العطش فلا يؤمن من تناوله دفعة انطفاء الحرارة وتقسيمه أمان من ذلك وأمّا فائدة التنفّس فإنّ التنفّس يبطل في زمن الإزدراد والحاجة تشتدّ إلى الماء والنفس فإذا تنفّس ولج شيء من الماء في مجرى النفس فكانت سبباً للاختناق أو الشرق، فإذا تنفّس الشارب في خلال شربه أمن من ذلك»¹⁰.

ويذكر حديثاً ذكره أبو نعيم بأنّ النبي (ص) كان يتعشى بعد العشاء الأخيرة وروت عائشة عن النبي: «إنه دخل عليها وهي تستنكي فقال لها: الأزم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا كلّ البدن ما اعتاد ثمّ يذكر قول علي بن أبي طالب



(ع): «المعدة بيت الداء والحمية رأس الطبّ والعادة طبع ثان»¹¹.
ومن هنا يتأتى بأنّ الذهبي قد تأثر من الكتب المؤلفة في الطبّ النبوي قبله.
وبعد ذكر روايات المحدثين كأبي نعيم نرى إتيانه بأقوال العلماء والأطباء
المسلمين كابن سينا عندما يقول: «قال ابن سينا: احذر طعاما قبل هضم
طعام. واعلم أنّ الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الأول، قال رسول الله
(ص): «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»¹²
ومن جملة هؤلاء الذين تأثر الذهبي به هو موفق الدين عبد اللطيف بن
يوسف بن محمد المعروف بالبغدادي، والملقب بابن اللباد وابن نقطة؛ من
فلاسفة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس
والطبّ والنبات والدواء والتاريخ والبلدان والأدب. تعمق البغدادي في
دراسة النبات لعلاقته بصناعة الدواء؛ ولكن، كانت صناعة الطبّ ودراسته
وتدريسه هوايته المفضلة ويُعدّ أول طبيب عربيّ تنبّه إلى مرض السكري
diabetes mellitus، وشخص أعراضه السريرية.

وفي كثير من الأحيان يذكر أقوال سائر الأمم عن عبد اللطيف هذا، خاصّة
عندما يأتي بسنن الهند؛ منها في أكل الطعام عند ملوك الهند يقول على
لسان البغدادي قائلاً: «كان من سنّة الهند إنهم إذا أرادوا تناول الغذاء اغتسلوا
ولبسوا الثوب النظيف وشمّوا الطيب وأمسكوا عن الحركات وهجروا الرّفث
ثمّ أقبلوا على الطعام»¹³.

ومما نقل عن ملوك الهند على لسان موفق عبد اللطيف أيضاً هو قوله في
فضل الإناء الزجاجية بعد ما روى رواية عن ابن عباس وهو القائل «كان
لرسول الله (ص) قدح من قوارير يشرب فيه» ثمّ يذكر قول عبد اللطيف
في فضل الزجاج والقوارير قائلاً «الزجاج فاضل للشرب والهنود تفضله
وملوکها تشرب فيه وتختاره على الذهب والياقوت، لأنّه قلّ ما يقبل الوضّر
ويرجع بالغسل جديدا ويرى فيه كدر الماء وكدر المشروب وقلّ ما يقدر
الساقى أن يدسّ فيه السمّ وهذا أشرف الخلال التي دعت ملوك الهند إلى
اتّخاذها»¹⁴.

إنّ الذهبي واسع الإطلاع على آراء علماء اليونان وأخبارهم كأبقراط
والأفلاطون ويستفيد من آرائهما وأخبارهما، منها ما يذكر أخلاق أبقراط في
معاملته مع الفقراء والأغنياء قائلاً: «أبقراط هذا واضع الطبّ قال بفضله
الأوائل والأواخر. أرسل إليه ملك من ملوك اليونان بقناطير من الذهب
حتى يسير إليه فأبى وكان لا يأخذ على المعالجة أجرا من الفقراء وأوساط
الناس وقد شرط أن يأخذ من الأغنياء أحد ثلاثة أشياء: طوقاً أو إكليلاً أو
سواراً من الذهب»¹⁵. ومرة يذكر أقواله في الطبّ ويوضّح آرائها لنا مثل
قوله: «قال أبقراط: [المني بسيل من جميع الأعضاء فيكون من الصحيح
صحيحاً ومن السقيم سقيماً»¹⁶.

ويذكر قول أفلاطون في لذات الدنيا قائلاً: «لذات الدنيا أربع: الطعام
والشراب والجماع والسماع»¹⁷. أو في موضع آخر يقول: «قال أفلاطون
من عرض نفسه على الخلاء قبل النوم دام له حسن بدنه»¹⁸.
وينقل حكاية عن طبيب كسرى بأنّه لما سئل عنه عن المسهل قال: سهم
ترمي به في جوفك أصاب أم أخطأ فذره إلا حاجة»¹⁹.

٢-٢-٤. الإطناب و الإيجاز

ما نرى واضحاً في أسلوب كتابة الطبّ النبوي هو الابتعاد عن اتّباع
أسلوب واحد في تصنيف هذا الكتاب حتّى يمكن القول بأنّه لا يكاد يوجد
الأسلوب المتّبع الواحد في هذا الكتاب فمرة يأتي الذهبي بأحاديث كثيرة في
موضع واحد دون شرح أو تعليق ومرة يشرح في صفحات عدّة موضوعاً
واحداً ويطنب القول تارة ويوجز تارة أخرى.

ومن البحوث المطنبة المفصلة قوله في التمر وفوائدها إذ يذكر حوالي
عشرين حديثاً عن النبي (ص) يرويها ابن عباس وغيره من الرواة. ويفصل
القول في كل أنواعه وأفضله وينسبه إلى مريم (س) ويذكر الآية الكريمة «و
هزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً. فكلّي...»

ولا يكتفي بأحاديث النبي بل يذكر بعض الأحاديث عن الإمام علي (ع) بعد
ذكر سيرته في الإفطار بأنّه كان يفطر على الزبيب والتمر لأنّ هذه الحلويات
تقوي قوّة الصائم «وقال عليه الصلاة والسلام: بيت لا تمر فيه جياع أهله»

11- Ibid, 61.

12- Ibid, 37.

13- Al Zahabi, 1990: 31.

14- Ibid, 40-41.

15- Ibid, 35.

16- Ibid, 297.

17- Ibid, 314.

18- Ibid, 39.

19- Ibid, 45.



ثم يتحدث عن صفته وأضراره ودفع هذه الأضرار قائلا: «التمر حارّ يابس، يزيد في الباه لاسيما مع قلب الصنوبر، لكنه فيه تصدع وضرر لصاحب الرمد... ويدفع ضرره بقلب اللوز والخشخاش»²⁰ إن تنوع الأساليب في بداية كل فصل أيضا ظاهرة تلتفت النظر في دراسة منهج هذا الكتاب. فمرة يبدأ بقول الأطباء مثل ما ابتدأ الفن الثاني في الأدوية المفردة قائلا: «قال الأطباء: الدواء إن لم يؤثر في البدن أثرًا محسوسا فهو في الدرجة الأولى، فإن أثر ولم يضر فهو في الدرجة الثانية...» حتى يأتي بالدرجة الرابعة²¹.

وفي الفصل الذي يتحدث عن الإسراف في الأكل يورد ثمان روايات عن أبقراط فضلا عن غيره من الحكماء والأطباء ويروي أحاديث كثيرة عن النبي (ص) والصحابة.

فمرة أخرى يبدأ بالقرآن مثلما فعل في الباب الثاني في أحكام الأدوية والأغذية: قال الله تعالى (وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَابْنَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبَصَّرَةٌ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عِنْدٍ مُنِيبٍ)²² وفي الفصل الذي يتحدث عن الفواكه والنباتات الطيبة، يذكر أحاديث النبي في البداية ثم يشرح خصائصها:

«أترج- يروي عن النبي (ص) أنه كان يحب النظر إلى الأترج وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب» أما حمض الأترج فيبارد يابس ومنه يعمل شراب الحماض، ينفع المعدة الحارة ويقوي القلب ويفرحه ويشهي الطعام ويسكن العطش و...»²³ أو على العكس يقول خصائص الشيء أولا ثم يأتي بحديث النبي (ص) ثانيا:

«إثم- الكحل الإصبهاني، بارد يابس يقوي عصب العين ويحفظ صحتها وقال رسول الله (ص): «إن خير أكحالكم الإثم، يجلو البصر وينبت الشعر.»²⁴

وربما لم يأت بحديث في ذكر فوائد الفواكه وهذا ما يخالف عنوان الكتاب الذي يستنبط منها إنه في الطب النبوي فقط.

٢-٣-٤. استخدام الآيات والأشعار

لا يتعد المؤلف في تأليف هذا الكتاب عن الاستشهاد بالآيات الكريمة المرتبطة بالعلوم الطبية والأتين بمعارف العرب التي تجلت في الشعر العربي ولهذا نرى استخدامه الآيات والأشعار في المواضع المتعددة مما يدل على سعة اطلاعه في الأدب العربي أيضا.

مما يستشهد فيه بالآيات الكريمة ثم يفسر بعض ما فيه قوله في خلق الإنسان من الأمشاج المختلفة ولزوم صيانة النفس: «فالمراء مجبول على صيانة نفسه والبدن مخلوق من أمشاج مختلفة، قال الله تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) والأمشاج: الأخلاط وقوامه وحفظه بتعديل مزاجه.»²⁵ وقد أتى في أثناء الأحاديث بأقوال الشعراء الذين استشهدوا بالأحاديث الشريفة في شعرهم. وعندما يأتي بحديث الرسول (ص) في الصحة والإسلام؛ «لولم يكن لابن آدم إلا إسلامه و الصحة لكفاه» نقل قول حميد بن ثور:

أري بصري قد خانني بعد صحة
وقول عمرو بن تيمية:

كانت قناتي لاتليغ لى غامر
ودعوت ربي بالسلمة جا هذا
فألانها الإصباح و الإمساء
ليصحني فإذا السلمة داء²⁶

وفي هذا الصعيد أي شرح الأحاديث بقول الشعراء والأدباء يستمد الذهبي كذلك في شرح الأسماء بأقوال اللغويين المشهورين كالأصمعي وغيره فمثلا في تعريف الأبره يتمثل بقوله قائلا: «قال الأصمعي: الأبره هو عرق باطن الصلب يتصل بالقلب.»²⁷

٢-٤-٤. الحكاية والسرد

ومن أساليب هذا الكتاب أسلوب الحكاية والقصة سواء في ذكر الأخبار والأحاديث عن النبي (ص) أو غيره ويمكن القول بأن هذا الأسلوب قد غلب على هذا الكتاب وهذا شيء يتطلب مثل هذه الكتب الروائية.

20- Ibid, 88-91.

21- Ibid, 66.

22- Ibid, 68.

23- Ibid, 70.

24- Ibid, 72.

25- Ibid, 218 - 219.

26- Ibid, 290.

27- Ibid, 304.



من هذه الروايات ما نرى في قصة عن أبقرط بأنه دخل على عليل فقال: أنا و أنت و العلة ثلاثة، فإن أعنتني بالقبول مني صرنا اثنين و انفردت العلة فقوينا عليها والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه. وقال في موضع آخر: وقيل لأبقرط: لم تقل الميت؟ فقال: لأنه كان اثنين؛ خفيف رافع وثقيل واضع، فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الواضع²⁸. ومثل هذه الحكايات والقصص كثيرة فربما من العبث، الاتيان بالنماذج الأخرى.

28- Ibid, 36.
29- Ibid, 58.
30- Ibid, 39.
31- Ibid, 282.
32- Ibid, 10.
33- Ibid, 46.

٤-٢-٥. الاهتمام بالأمراض الباطنية ومداواة الأمراض بالأمور المعنوية
نقصد في هذا البحث ما يمكن خفاه على القارئ في النظرة الأولى ولكن يكون ذا أهمية بالغة في مجال الطب النبوي. هناك كثير من الأمراض الباطنية التي اهتم بها الذهبي في اختيار الروايات وما قال الرسول (ص) عنها. فنرى أن الذهبي يعرف المرض ثم يشير إلى مداواته. ومن هذه الأمراض الباطنية الغضب ونهى النبي (ص) عن ذلك ويرى أقوى الناس قدرة، الذي يملك نفسه عند الغضب، قائلا: «ما تعدون الصرعة فيكم؟ قلنا الذي لاتصرعه الرجال، قال: ليس بذاك، لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب. ثم يأتي المؤلف بأية قرآنية عندما يشير سبحانه تعالى إلى كظم الغيظ (والكاظمين الغيظ) ويرى النبي (ص) دواء هذا الداء في التوضأ قائلا: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»²⁹ وعندما أراد أن يداوي اللمم وهو جنون خفيف أو طرف من الجنون أو اضطراب عصبى ونفسى يلم بالإنسان يوصي بالوضوء قائلا: «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم»³⁰

وكذلك نرى هذا الالتفات بالأمور المعنوية في مداواة الأمراض الجسمية ومن طريف ما جاء في هذه الأحاديث، استخدام كلمة فارسية في الحديث النبوي الذي يرويه أبوهريرة: «رأني رسول الله و أنا نائم أتلقى من وجع بطني، فقال أشكم درد؟ قلت نعم يا رسول الله. قال قم فصل فإن الصلاة شفاء». وقال: هذه لفظة فارسية معناها أبك وجع البطن؟»³¹

يشرح المؤلف هذا الحديث الشريف شرحا مستقيضا، مبينا رأيه وآراء العديد من العلماء في الفوائد النفسية والروحية والجسدية للصلاة... فضلا عن كونها عبادة واجبة من أركان الإسلام، يثاب المرء عليها عظيم الثواب، فهي رياضة للنفس ورياضة للجسد؛ تسر النفس وتزيل الهم وتترق القلب...³² إضافة إلى هذه المعالجات المعنوية فالمؤلف يؤكد على علم النبي بالطب وخواص الأدوية في كثير من الأحيان، منها ما يروى قولاً لأسماء بنت عميس بأن رسول الله (ص) سألها بم تستمشين: قالت: بالشبرم، قال: دواء حار بارد، ثم استمشت بالسنا، فقال: لو أن شيئاً فيه شفاء من الموت لكان بالسنا» ثم يقول: «وهذا الحديث دال على أن النبي (ص) عارف بقوى الأدوية وتفاوتها في الدرج واشتراكها في الأفعال، فإن الشبرم دواء حار و...»³³

النتيجة

أما حصيلة هذا الجهد المتواضع فيما يلي:
١. إن الاهتمام بالتراث العلمي والثقافي لها أهمية بالغة للوثوب على الرقي والتقدم للأمم الإسلامية فالتراث العلمي في مجال الطب النبوي الذي هو العلاج الروحي والنفسي والعقلي فضلا عن البدني للفرد والمجتمع والإنسانية على مر الدهور والعصور، تراث ينبغي الاهتمام به أكثر فأكثر.
٢. جمع الذهبي في كتابه الطب النبوي آراء كثيرة لسائر الأمم فضلا عن الأحاديث المروية عن الرسول (ص) وكأني به أراد التطبيق بين علم الطب عند النبي (ص) والمسلمين وما يكون عند الأطباء خاصة من الأمم الأخرى.
٣. استخدام الآيات والأشعار وأقوال العلماء اللغويين وأتباع أسلوب القص في هذا الكتاب من السمات الفنية البارزة في هذا الكتاب مما جعله في عداد الكتب الأدبية.

٤. تراوح منهج المؤلف في أقواله بين الإيجاز والإطناب واستمد ذلك من الأساليب المتنوعة في بداية كل فصل حتى يخرج كتابه عن الرتابة والإملال.
٥. تأثر الذهبي في كتابه هذا بالجهود التي بذلها العلماء في مجال الطب النبوي قبله وأورد بعض أقوالهم في أثناء حديثه خاصة أبا نعيم الإصفهاني الذي



يعدّ من أوائل من صنّفوا كتابا في هذا الصعيد.
٦. الاهتمام بالأمراض الباطنية والتداوى بالأمور المعنوية من سنة
الرّسول (ص) التي تجلّت في هذه الأحاديث والروايات ولا يمكن غضّ
البصر عنها وعلينا الإقتداء بها.

References

- Al Sobki, T. “*Al Tabaghat Al Shafeyeat Al Kobra*”. Qoyro: Dar Ehya Al Kotob Al Arabiyat. 1964. [In Arabic]
- Al Zahabi, M. “*Al Teb Al Nabavi*”. Third edition. Beirut: Dar Ehya Al Oloum. 1990. [In Arabic]
- Ibn Kaseer. “*Al bedayah va Al nahayah*”. Eygpt: Dar Hejr. 1998. [In Arabic]
- Isfahani A. “*Mosooat Al teb Al- nabavi*”. Beirut: Dar Ebn Hazm. 2006. [In Arabic]
- Jasem, AN. “*Tahleel Manhaj Abi Eshaq Al Shirazi Fi Ketabehi Tabaghat Al Foqaha*”. Ostaz: Baghdad Universiy. Vol. 200. 2012. [In Arabic]

